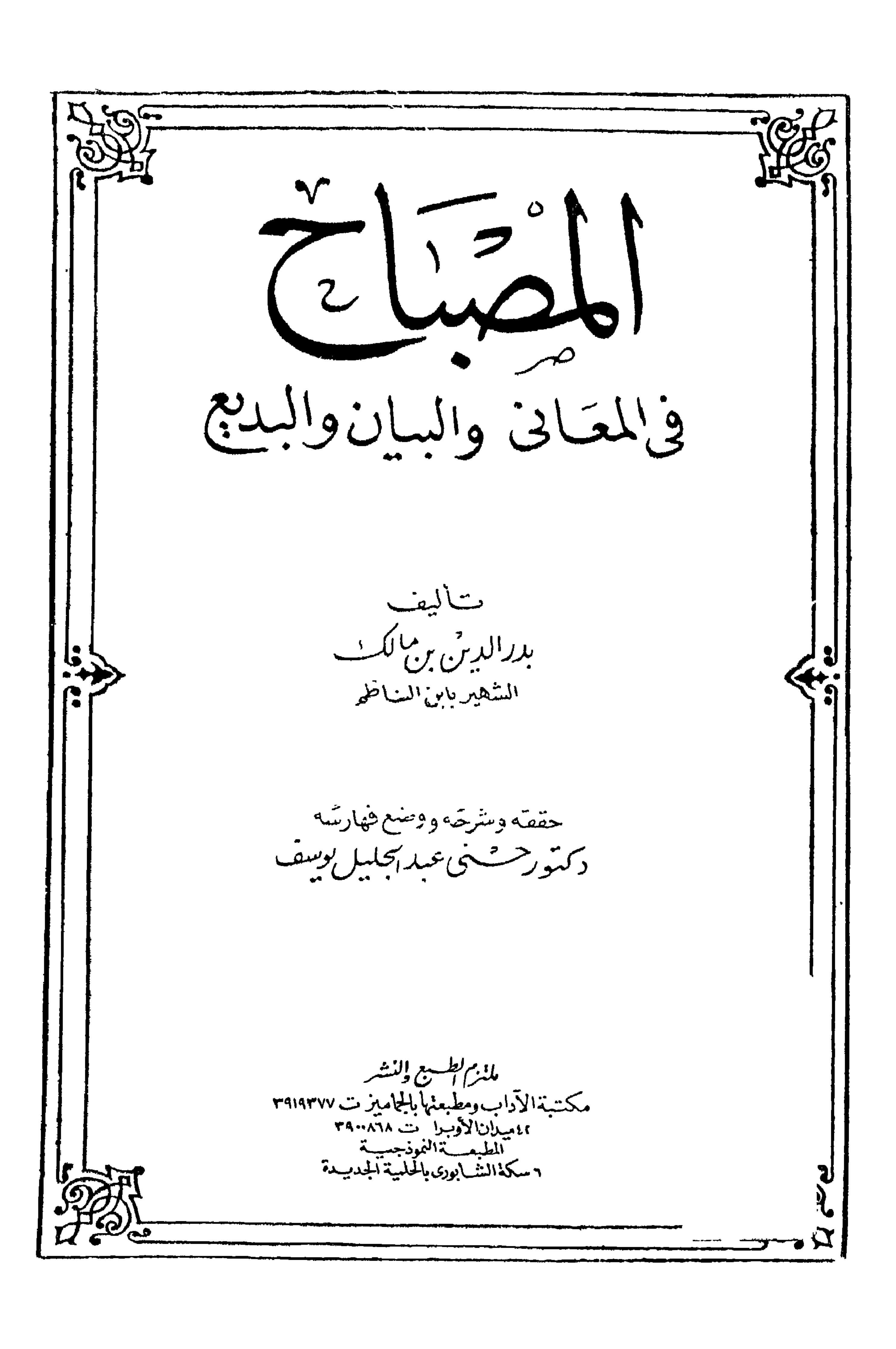


المصباح

في المعاني والبيان والبديع

تأليف

بدر الدين بن مالك

الشهير بابن الناظم

حققه وشرحه ووضع فهارسه

دكتور حسني عبد الجليل يوسف

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٣٩١٩٣٧٧

٤٢ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨

المطبعة النموذجية

٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

المصباح
في المعاني والبيان والبديع

تأليف

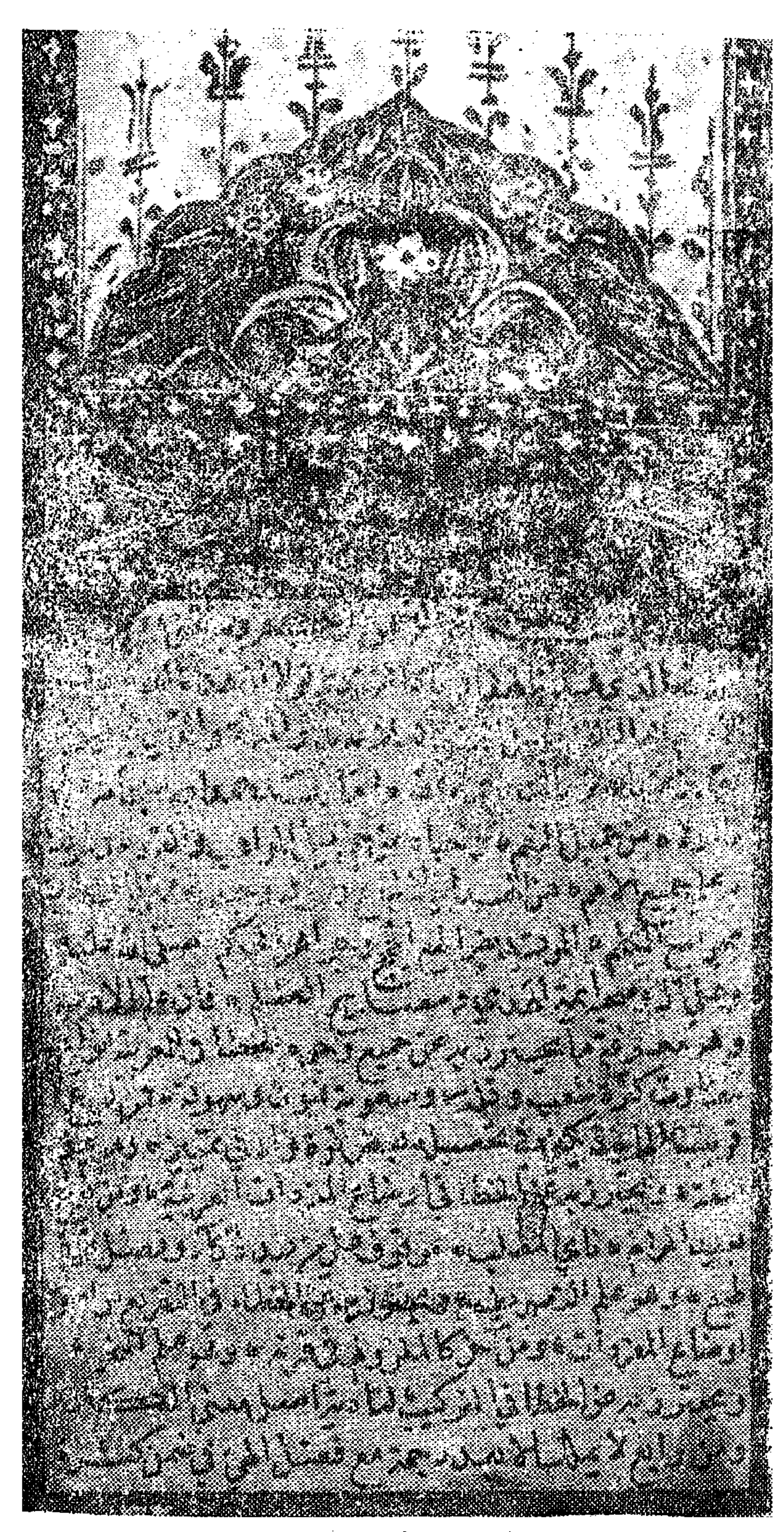
بدر الدين بن مالك

الشهير بابن الناظم

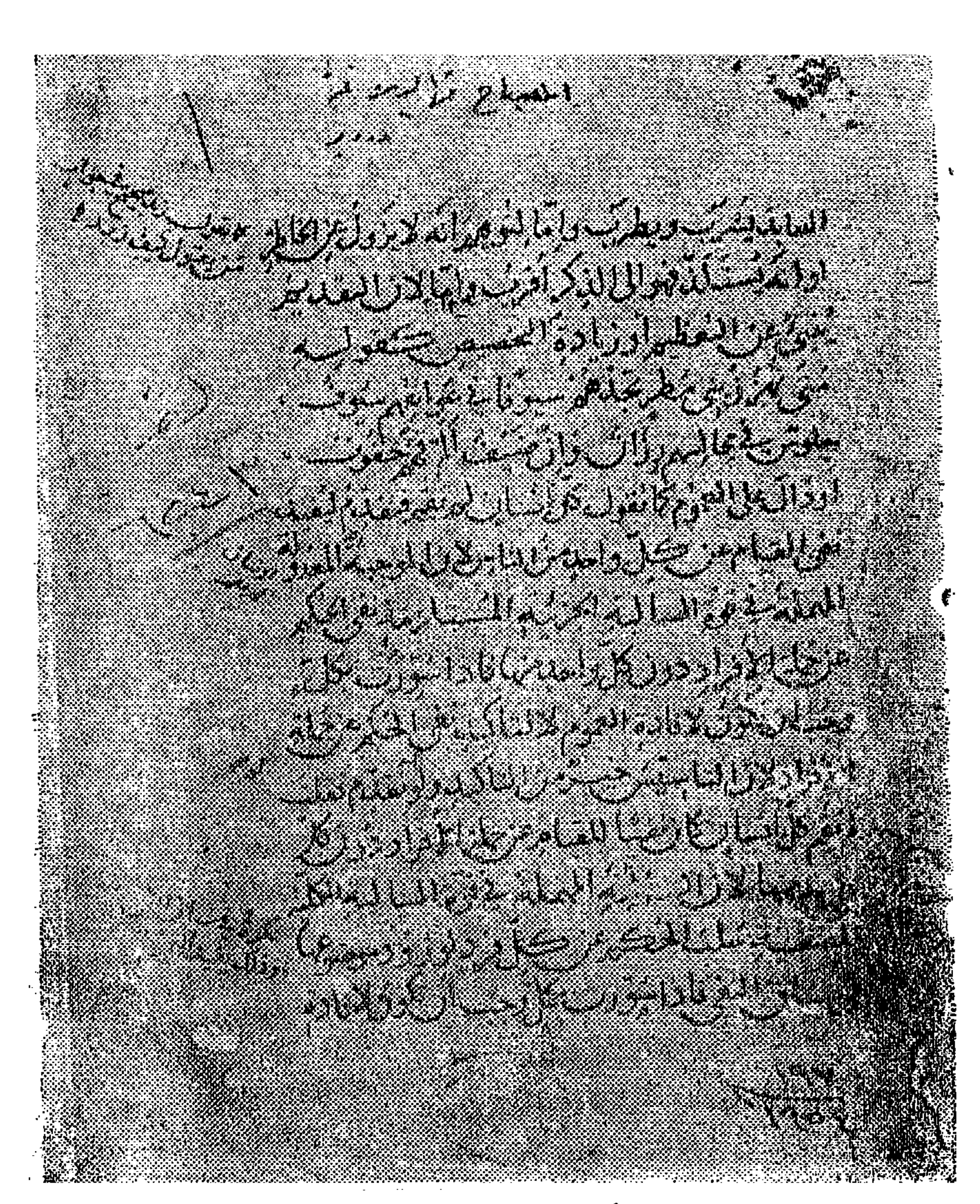
حققه وشرحه ووضع فهارسه

دكتور حسني عبد الجليل يوسف

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٣٩١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة



نموذج من المخطوطة [س]



نموذج من المخطوطة [د]



مقــــدمة المحقق

التعريف بالمؤلف :

قال الصفدى فى الوافى بالوفيات : «الشيخ بدر الدين بن مالك محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك . الإمام البليغ النحوى بدر الدين ابن الإمام العلامة جمال الدين الطائى الجيانى ثم الدمشق ، كان إماماً فى المعانى والبيان والبديع والعروض والمنطق ، جيد المشاركة فى الفقه والأصول ، أخذ عن والده ، وجرى بينه وبين والده صورة(١) سكن لأجلها بعلبك ، فقرأ عليه بها جماعة منهم بدر الدين بن زيد ، فلما مات والده طلب إلى دمشق ، وولى وظيفة والده ، وسكنها ، وتصدى للأشغال والتصنيف .

ومن تصانيف الشيخ بدر الدين :

ــ شرح ألفية والده المعروفة بالخلاصة وهو شرح فاضل منق منقح ، وخطّأ والده فى بعض المواضع ، ولم تشرح الخلاصة بأحسن ولا أسد ولا أجزل منه ، على كثرة شروحها ، وأراها فى الشروح كالشرح الذى لابن يونس للتنبيه .

ــ المصباح : اختصر فيه معانى وبيان المفتاح ، وهو فى غاية الحسن ، وقيل إنه وضع أكبر منه وسماه « روضة الأذهان » ، وإلى الآن لم أره .

ــ ورأيت له « مقدمة فى المنطق » و « مقدمة فى العروض » .

ــ ومات قبل الكهولة من قولنج(٢) كان يعتريه كثيراً ، فى سنة

---

(١) صورة : خلاف وقطيعة .

(٢) القولنج : التهاب القولون ، وهو مرض معوى مؤلم .

ست وثمانين وستمائة بدمشق ، ودفن بمقبرة « باب الصغير » .

وكثر تأسف الناس عليه . وقيل إنه حضر مجلس الشيخ شمس الدين الأيكي ، وكان يعرف الكشاف ، فقعد لا يتكلم ، والأيكي يذكر درسه إلى أن أطال الكلام، فقال له يا شيخ بدر الدين لأي شيء ما تتكلم ؟ فقال: ما أقول ومن وقت ما تكلمت فيه إلى الآن عددت عليك إحدى وثلاثين لحنة (**) »(١) .

وقال ابن العماد الحنبلي : في شذرات الذهب ، عن وفيات سنة ٦٨٦هـ:

وفيها البدر بن مالك أبو عبد الله محمد بن العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الشافعي شيخ العربية وقدوة أرباب المعاني والبيان ، أخذ عن والده النحو واللغة والمنطق، وسكن بعلبك مدة. ثم رجع إلى دمشق، وتصدر للأشغال بعد موت والده ، وممن أخذ عنه القاضي بدر الدين ابن جماعة ، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني. قال الذهبي: كان إماماً ذكيا فهماً ، حاد الذهن إماماً في النحو ، إماماً في المعاني والبيان والنظر ، جيد المشاركة في الفقه والأصول وغير ذلك ، وكان عجبا في الذكاء والمناظرة وصحة الفهم ، وكان مطبوع العشرة ، وفيه لعب ومزاح . وقال الشيخ تاج الدين : كان قد تفرد بعلم العربية خصوصا معرفة كلام والده ، وكان له مشاركات في العلوم، وكان صحيح الذهن جيد الإدراك ، حديد النفس.

توفى بدمشق في المحرم ، من قولنج كان يعتريه كثيراً . قال الذهبي ولم يتكهل. قال غيره : توفى كهلا ، وقال ابن حبيب توفى عن نيف وأربعين سنة ، ودفن بباب الصغير .

(**) اللحنه : من ألحن يلحن : أخطأ .

(١) كتاب الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي إعداد : س : ديدرينغ ، دار فرانز شتاينر بفسبادن للنشر ١٩٧٤ .

ومن تصانيفه : شرح ألفية والده ، وهـــو شرح غاية فى الحسن . والمصباح فى المعانى والبيان . وكتاب فى العروض . وشرح غريب تصريف ابن الحاجب . وشرح لامية والده فى الصرف(١) .

وقال المقرى فى كتاب نفح الطيب :

وقد عرف به الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام ، وذكر فيه ترجمة لبدر الدين محمد ، وأنه كان حاد الذهن ذكياً ، إماماً فى النحو وعلم المعانى والمنطق ، جيد المشاركة فى الفقه والتدريس ، وأنه تصدر بعد والده للتدريس ، ومات شاباً قبل الكهولة سنة ٦٨٦ هـ .

ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده ، وهو كتاب فى غاية الإغلاق ، ويقال : إنه نظير الرضى فى شرح الكافيـة ، وللناس عليه حواش كثيرة(٢) .

وذكر السيوطى فى بغية الوعاة ما أورده الصفدى فى الوافى بالوفيات وذكر من التصانيف :

شرح ألفية والده ، شرح كافيته ، شرح لاميته ، تكملة شرح التسهيل (لم يتمه) ، المصباح فى اختصار المفتاح فى المعانى ، روض الأذهان شرح الملحة ، شرح الحاجبية ، مقدمة فى العروض ، مقدمة فى المنطق ، وغير ذلك(٣) .

وأرخ لوفاته ابن تغرى بردى الأتابكى ، فى وفيات ٦٨٦هـ فقال : وفيها توفى الإمام النحوى بدر الدين محمد بن الشيخ جمال الدين بن مالك فى المحرم(٤) .

---

(١) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ جـ ١

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ٢ ص ٢٣٣/٢٣٤ .

(٣) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ص ٢٢٥ .

(٤) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٧٣ .

وأرخ لوفاته أيضاً المقريزى فقال فى وفيات ٦٨٦ هـ :

وتوفى بدر الدين أبو الفضل محمد بن جمال الدين أبى عبد الله محمد ابن مالك الأنصارى الجيانى النحوى بدمشق وقد أناف على الأربعين(١) .

وأرخ لوفاته أيضاً السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى ، وفيات ٦٨٦ هـ(٢) .

وأرخ له الميرزا محمد على ، فى كتابه : « ريحانة الأدب فى تراجم المعروفين بالكنية واللقب » وأطلق عليه لقب « ابن الناظم » فقال : ابن الناظم محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك ، شافعى دمشقى أندلسى جيانى طائى . وذكر ستاً من مؤلفاته(٣) .

كما أرخ له الميرزا محمد باقر الموسوى فى كتابه الروضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات .

فقال : « الإمام ابن الإمام فى فنون العربية والأصول والأحكام ، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك الجيانى الشافعى .

السابق على هذه الترجمة ذكر البهى ، هو النحوى ابن النحوى الملقب بابن الناظم ، صاحب شرح ألفية أبيه البارع المتقدم وقد ذكره الحافظ السيوطى أيضاً فى طبقات النحاة(٤) .

وقد أورد كارل بروكلمان ثبتاً بمخطوطات كتب بدر الدين بن مالك وهى :

(أ) ١ — روض الأذهان فى علم المعانى والبيان ، ليدن ٣١٥ .

٢ — مختصر من مفتاح العلوم للسكاكى وهى مخطوطات كثيرة فى

(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ ص ٧٣٨ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى جـ ٨ ص ٩٨ .

(٣) ريحانة الأدب جـ ٨ ص ٢٢٣ .

(٤) الروضات الجنات جـ ٨ .

مكتبات العالم نذكر منها : برلين ٧٢٤٩ ، باريس ٤٣٧٥ الأسكوريال ثان ٢٥٠ ، بيكنبور ٢١٥٢/٢٠ ، الإسكندرية ٢٤ بلاغة ، باجته ١٨١/١ رقم ١٦٨ ، الظاهرية بدمشق ٣٢/٦٩ ، الموصل ١١٧ ، ٢٥٣ ، القرويين بفاس ١٤٣٢ ، وعليه شرح لناصر الدين الترمذى بالقرويين ١٥٣٤ ، ونظمه محمد بن عبد الله المراكشى الأكمه من علماء القرن التاسع ﻫ الأسكوريال ثان ٢١٩ .

٣ — شرح بعض كتب أبيه :

(ا) شرح الدرّة المضيئة : برلين ٦٦٣٥ .

(ب) شرح لامية الأفعال برلين ٦٦٦١ .

٤ — شرح كافية ابن الحاجب الإسكوريال ثان ٢٠٠ ، بطرسبرج رابع ٩٣٩ .

٥ — غاية الطلاب فى معرفة الإعراب بريل ١٨٠ ، ثان ٣٥٤ ولم يجزم بنسبتها له .

٦ — شرح ملحمة الإعراب للحريرى ، الفاتيكان ثالث ٣٢٠. برلين ٦٥١ أبسالا ٦٢/٢(١) .

ولم يذكر بروكلمان المخطوطتين الموجودتين بدار الكتب المصرية وهما المخطوطتان اللتان اعتمدنا عليهما فى تحقيق الكتاب .

والأولى أشرنا إليها بالرمز [س] ورقمها ٥٦٩ بلاغة ٥٥ ورقة غير مرقمة ، ورقمناها وفق ترتيب الصفحات .

والثانية أشرنا إليها بالرمز [د] ورقمها ٦٥٤٣ ﻫ ٧٧ ورقة مرقمة من ١ : ٧٧ ، وهى غير مرتبة وقد أعدنا ترتيبها .

أما المطبوعة [ط] فقد طبعت طبعة قديمة بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٤١ ﻫ

---

(١) تاريخ الأدب العربى ج ٥ ص ٢٩٦ ، ٢٥٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ، ١٥٣ .

وهى خالية من الحواشى والشروح والترتيب ، وتكاد تكون صورة للمخطوطة (س) التى لا تكاد تنفصل فيها الفصول والأبواب . فنجد بداية الفصل والباب فى نفس السطر الذى ينتهى فيه سابقه .

* * *

منهج التحقيق والشرح ووضع الفهارس والتقديم :

* فأما بالنسبة للتحقيق فقد اعتمدت على المخطوطة [س] وجعلتها أصلا ، فإذا وجدت خطأ بها نقلت عن [د] أو [ط] ما رأيته صوابا مع الإشارة إلى ماوردفى [س] ، وقد أشرت إلى صفحات د بالحرفين ا ، ب وقد رجعت فى تخريج الشواهد إلى كتب البلاغة والدواوين الشعرية والمجموعات الشعرية وكتب اللغة والأدب ، والمعاجم وكتب التفسير . وقد ساعدنى ذلك على تخريج أكثر الشواهد الشعرية ونسبتها إلى قائلها كما ساعدنى على نسبة شواهد كانت تعتبر مجهولة القائل أو المصدر .

وقد اعتمدت فى تخريج الشواهد المنسوبة لامرىء القيس وأبى تمام وأبى نواس على دواوين لكل منهم توثيقاً لها ، لكثرة ماورد من شواهد منسوبة لهم ، وقد أشرت إلى ذلك بالحرف (ا) ، (ب) .

وقد أشرت إلى كل المصادر التى ورد فيها الشاهد مما تيسر لى من المراجع قاصداً من ذلك إرشاد الدارس إلى مراجع الشاهد حتى يمكنه الرجوع إليه إذا رغب فى تتبع هذا الشاهد .

وأشرت إلى بعض الاختلافات الجوهرية فى روايات الشاهد . أما الاختلافات غير الجوهرية فلم أشر إليها لأن ذلك من مهمة محقق الشعر لا البلاغة .

وهناك بضع شواهد لم أعثر لها على مصدر غير كتاب المصباح ، وربما أتمكن من معرفة مصادرها فى المستقبل ، وأن أضيفها إلى طبعات أخرى للكتاب إن تحقق ذلك .

** وأما الشرح فقد وضحت ما رأيته فى حاجة إلى توضيح ، وقد اعتمدت على شروح الأقدمين وأشرت إلى المصدر الذى نقلت عنه الشرح سواء فى شرح معانى الشواهد ، أو فى شرح المصطلحات ، أو المفردات اللغوية ، وقد اخترت لذلك أفضل الشروح التى تيسرت ، وأخصرها ، وأوضحها ، وأبعدها عن التعقيد ، وقد أضافت هذه الشروح إلى الكتاب قيمة علمية ، يشعر بها القارىء من الوهلة الأولى ، لأنى اعتمدت على آراء علماء لهم مكانتهم العلمية فى ميدان الدراسات البلاغية القديمة ، أمثال عبد القاهر الجرجانى ، وابن الأثير ، وابن رشيق ، والسكاكى والقزوينى ، وسعد الدين التفتازانى ، وابن أبى الإصبع ، والسيوطى ، ومحمد بن على الجرجانى ، وغيرهم من أرباب البلاغة وأساتذة النقد القديم .

* * *

*** وأما بالنسبة لوضع الفهارس فقد اكتفيت فى فهرسة آيات القرآن الكريم بوضع رقم الآيات حسب ورودها فى السورة الواحدة . ورتبت السور وفق ورودها فى المصحف الشريف .

ورتبت الأحاديث الشريفة وفق الحروف الأولى للمتن الوارد فى كتاب المصباح .

ورتبت الأمثال متبعاً نفس المنهج .

أما فى ترتيب الشعر فقد اتبعت منهجاً متميزاً : حيث اعتمدت على ترتيب القوافى حسب نوعها من حيث الإطلاق والتقييد : فبدأت بالقافية المقيدة الخالية من الردف والتأسيس ، ثم المردوفة ثم المؤسسة ، ثم القافية المطلقة الخالية من الردف والتأسيس الموصولة باللين ، ثم الموصولة بالهاء ، ثم المردوفة الموصولة باللين ، ثم الموصولة بالهاء ، ثم المؤسسة الموصولة باللين ، ثم الموصولة بالهاء ، وقد رتبت قوافى كل مجموعة وفق ترتيب حروف الروى .

وهذا الترتيب يتميز عن غيره بأن منهجه واضح حيث يعتمد على نهج واضح له أساس علمى ، كما أن مجموعات القوافى تكاد تتميز بنفسها داخل الفهرس، بحيث يسهل على الدارس وضع يده على القافية دون صعوبة، ودون حاجة إلى معرفة قواعد تتصل بالوزن أو القافية لأنها تشبه أن تكون موزونة صرفياً ، وصوتياً .

*** أما بالنسبة للتقديم فقد آثرت فى التعريف بالمؤلف أن أنقل النصوص التى وردت فى كتب التراجم بادئاً بأقدمها وأوفاها ، مع عدم إهمال ما جاء بعد ذلك من تعريف بالمؤلف .

كما أنى ذكرت كل ما وصلنى من معرفة بمخطوطات كتاب المصباح ومخطوطات كتب المؤلف الأخرى تيسيراً على الدارسين .

أما بالنسبة لتقديم كتاب المصباح فقد آثرت الإيجاز ، وهو إيجاز لا يخلو من فائدة حيث أشرت إلى أهم الملاحظات التى رأيت أن ألفت نظر القارىء إليها .

كتاب المصباح :

ذكر الدارسون أن كتاب المصباح فى المعانى والبيان والبديع هو اختصار للجزء الثانى من كتاب المفتاح لأبى يعقوب السكاكى ، ومن هؤلاء كارل بروكلمان ، والدكتور رمضان شيس، اللذين ذكرا أن بدر الدين بن مالك قد اختصر المفتاح بأجزائه الثلاثة ، ولم نصل إلى تلك المخطوطات ، وقد تيسر لى الحصول على مخطوطتين ومطبوعة غير محققة استطعت من مقابلتها أن يخرج الكتاب بصورة تفى بالمطلوب .

وقد ذكر الأستاذ الدكتور شوقى ضيف فى كتابه «البلاغة تاريخ وتطور» ، أن بدر الدين بن مالك قد لخص القسم الثالث من المفتاح .

وقال: إن بدر الدين قد لخص هذا القسم « دون أى التفات أو اهتمام

بمصادره الأولى التى استقى منها ، وكأنما رأى أن يقصر نفسه عليه وحده دون أى رجوع إلى الزمخشرى أو إلى عبد القاهر ، أو قل إنه إنما قصد إلى صنع مختصر للسكاكى ، وهو مختصر أخلاه من تعقيداته المنطقية والكلامية والفلسفية التى أودعها مقدمات الأقسام والفصول ، وأدخل فيه تعديلات . من ذلك أنه نقل مبحث البلاغة والفصاحة من ذيل البيان إلى فاتحة المختصر ، وظل على رأى السكاكى فى أن علمى المعانى والبيان هما مرجع البلاغة ، وأن مرجع المحسنات البديعية الفصاحة ، إلا أنه مع اعترافه بأنها توابع للبلاغة أو بعبارة أخرى لعلمى المعانى والبيان جعلها علماً مستقلا بنفسه سماه علم البديع ، وبذلك هيأ لأن تصبح البلاغة متضمنة ثلاثة علوم ... وربما كان أهم شىء أضافه إلى مختصره بالإضافة إلى أصله من كتاب المفتاح هو أنه توسع فى ذكر المحسنات البديعية إذ ذكر أربعة وخمسين لوناً ، بينما ذكر السكاكى منها ستة وعشرين »(١) .

ومع اعترافنا بأن المصدر الأساسى للمصباح هو مفتاح العلوم للسكاكى ، فإننا نجد بدر الدين بن مالك يتوسع فى الاستشهاد بالشعر توسعاً يفوق السكاكى كما نجده يستخدم شواهد لم يستخدمها السكاكى ، ونلاحظ نوعاً من التأثر بقدامة بن جعفر فى كتابه نقد الشعر ، وبابن رشيق فى كتاب العمدة فى نقد الشعر ، وبالعسكرى فى كتابه الصناعتين ، وبالبديع لابن منقذ، وبابن الأثير فى كتابه المثل السائر، وبابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير . ومع اعترافنا بصعوبة تحديد أوجه التأثر عند هؤلاء العلماء فإننا نستطيع أن نقرر ذلك بناء على سبقهم له واقتفائه أثرهم .
أما تأثره الواضح فبابن رشيق سواء فى استخدام المصطلحات أو فى عرض الشواهد ، وقد أشار هو لذلك صراحة فى دراسته للتكرار ، كما نجده ينقل عن ابن رشيق ما قاله فى عرضه لشواهد التقسيم عند المتنبى : يقول ابن

(١) البلاغة تاريخ وتطور ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

رشيق : ثم زاد في هذا وتباغض حتى صنع عش ابق اسم سد قد . البيت .

ويقول بدر الدين بن مالك بعد عرض نفس الشاهد الذى عرضه ابن رشيق : ثم زاد وتباغض فصنع : عش ابق اسم سد قد ... البيت .

وقد وضع بدر الدين بن مالك ، المطابقة والمقابلة فى باب المحسنات اللفظية خلافاً للسكاكى وغيره من البلاغيين ، وأكاد أجزم أنه نقل عن ابن رشيق تعليقه على رأى قدامة فى دراسته للتجنيس، حيث جعل المطابق من الشعر داخلا فى باب ائتلاف اللفظ والمعنى، ومعناهما أن تكون فى الشعر معان متغايرة قد اشتركت فى لفظة واحدة(١)، ونلاحظ أن هناك نوعاً من التشابه بين استخدام بدر الدين بن مالك لمصطلح الابتداء والخروج وحسن التخلص والخاتمة وبين ماقدمه ابن الأثير فى المثل السائر وابن رشيق فى العمدة .

كما نلاحظ أن ما استخدمه بدر الدين من مصطلحات فى البديع هو ثمان وخمسين مصطلحاً وليس أربعاً وخمسين كما ذكر الدكتور شوقى ضيف ، حيث استخدم فيما يرجع إلى الفصاحة اللفظية أربعاً وعشرين مصطلحاً ، وفيما يرجع إلى الفصاحة المعنوية تسعة عشر مصطلحاً ، وفيما يرجع إلى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه خمسة عشر مصطلحاً .

ونلاحظ أنه قد تأثر فى تعريفه للمصطلحات بابن أبى الإصبع فى كتابيه تحرير التحبير ، وبديع القرآن ، الذى تأثر هو بسابقيه ، مع توسع فى عرض المصطلحات وتعريفها وشرح الشواهد شرحاً وافياً .

وقد أشار السيوطى فى شرحه لعقود الجمان إلى آراء لبدر الدين بن مالك فى المصباح ، واستشهد بها فى بعض المواضع ونقدها فى مواضع أخرى .

ومن الجدير بالملاحظة أن يحى بن حمزة العلوى مؤلف كتاب الطراز قد نص على أنه اعتمد على كتب أربعة فى تأليف كتابه منها كتاب المصباح

---

(١) انظر العمدة ج ٢ ص ٣٠ ، نقد الشعر ص ١٦٢ .

لابن سراج المالكي ، وقد لاحظنا من تخريجنا للشواهد ودراستنا للمصباح والطراز أن العلوى قد اتكأ اتكاءً ظاهراً على كتاب المصباح .

ولا نشك فى أن كثيراً من مؤلفى البلاغة قد استفادوا من كتاب المصباح كالقزوينى والجرجانى محمد بن على .

ويمتاز المصباح بسمة الإيجاز ، والوضوح ، وكثرة الشواهد وحسن اختيارها، وترك الشواهد المبتذلة التى استخدمها البلاغيون شاهداً على الابتذال ، وانتقائه لشواهد التعقيد ، بحيث لانجد إلا النادر من الشواهد غير البليغة ، ويمتاز المؤلف بحسن التبويب والتقسيم بحيث يقسم النوع إلى ضروب ، والضرب إلى أقسام، وهو فى كل ذلك بعيد عن التعقيد الذى غرق فيه كثير من البلاغيين ، وإن كان يستخدم المصطلحات المنطقية فى بعض المواضع كما تكشف تعريفاته عن معرفة بالمنطق وعن حس منطقى ،

ولا أشك فى أن كتاب المصباح لم يأخذ حقه فى مضمار الدراسات البلاغية، فى حين وجدنا كتاب الإيضاح يتصدر ميدان هذه الدراسات فى جامعة الأزهر وغيرها من الجامعات، على ما فيه من صعوبة وتعقيد .

وإننى لأرجو أن يكون تحقيق الكتاب وافياً بالمطلوب ، وبما لهذا الكتاب من قيمة علمية ، وبما لصاحب الكتاب من مكانة عند العلماء .

كما أرجو أن يكون ما أضفته من تفسير وشرح وتعليق وفهارس مساعداً للدراسين على فهم الكتاب وما تضمنه من قضايا وشواهد ، وبالتالى على فهم البلاغة العربيه القديمة تأصيلا لفكر بلاغى معاصر .

فى الختام أدعو الله أن يجنبنا الزلل، وأن يوفقنا إلى خدمة لغة القرآن، وأن يجعلنا من عباده الصالحين .

دكتور حسنى عبد الجليل يوسف